**المذهب التجريبي**

**أوّلا :** من أشهر ممثلي هذا الإتجاه " جون لوك" ( ينظر في ترجمته : جورج طرابيشي . معجم الفلاسفة.ص 598).

وقد اهتمّ هذا الفيلسوف اهتماما بالغا بنظرية المعرفة ، وبحث ذلك بإسهاب في كتاب :" بحث حول العقل البشري".

**أ.غاية الفلسفة عند لوك:**

يرى لوك أنّ العقل و الأفكار اللذان كان يشيد بهما ديكارت ( الأفكار الفطرية) غير سديدة ، لذلك هو يرى أنّ العقل محدود و لا يستطيع إدراك كلّ شيء موجود في العالم ، لأنّ العقل إذا تطرّق إلى هذه الأشيياء التي هو قاصر فيها فلا يخرج إإلا بمناقشات عقيمة و يكون نتيجته الشكّ ، و المفروض البحث عن اليقين ، لذلك بدأ هجومه على " الأفكار الفطرية بالمعنى الديكارتي" ؛ ومن ضمن ما هاجمه : مبدأ الهوية و مبدأ عدم التناقض...

ومن الأدلّة التي استند عليها : عدم وجود " الأفكار الفطرية" عند الأطفال دون سنّ التمييز و المجانين ؛ فلو كانت فطرية لعلمها الطفل و البدائي و المجنون.

ومن ضمن ما انتقده على ديكارت " الخير و الشرّ الفطريان" ، واعتبر أنّ هذه الدعوى باطلة ، يفنّدها الواقع و العقل ، فأمّا الواقع فيقضي بنسبيتهما لأنهما يختلفان باختلاف الأمكنة و الأزمنة ؛ أي أنّهما متطوّران ، و أمّا العقل فينفي فكرة كونهما بديهيان ؛ لأنّهما لو كانا كذلك لاتّفق عليهما كلّ العقلاء .

**ب.مفهوم التجربة عند " لوك":**

القاعدى عند لوك : ( الإدراك قبل الأفكار)

ولشرح هذه القاعدة يوضّح :

يولد الطّفل " صفحة بيضاء" ، خالي الذهن من أيّ أفكار مسبقة ، و التجربة هي الوسيلة الأولى لملأ ذهنه بالأفكار و الأحاسيس ، و ما يسمّى عنده ب التجربة يقوم على أساسين اثنين:

-الحسّ.

- التأمّل الباطني ( الإستبطان).

فأمّا الحسّ فواضح ، وأما الإستبطان الداخلي فهو : عبارة عن العمليات الذهنية التي يقوم بها الفرد ، و التي ينتج عنها نوعان من الأفكار ؛ أفكار بسيطة ( كالليونة ، الكثافة ، الأبعاد ،...) و الأفكار المركّبة ( مثل عمليات الربط بين الأسباب و مسبّباتها ، و ربط الأسباب بغاياتها...).

و لأنّ " لوك" حسّي فإنّه يرى أنّ المادّة مستقلّة مكتفية بذاتها ، و هي موجودة خارج الوعي ، و ما العقل إلّا كاشف لما انعكس لنا منها من قوانينها الناظمة لها.

فالمادّة أصل و الفكر فرع.

وتبعا لذلك فإنه يرى أنّ الأفكار مجرّد إحساسات تثيرها فينا هذه القوى فتتكوّن أفكار بسيطة و مركّبة.

**ج.الأخلاق عند لوك:**

**ي**قسّم لوك الأخلاق إلى :

-نظرية : تكستب عن طريق التأمّل.

-عملية: تكستب عن طريق التجربة الذاتية.

و لأنّ لوك ذو منزع تجريبي فإنّه يرى أنّ الأخلاق النظرية ضعيفة أمّا العملية ف قوية لأنّ الواقع يصدّقها . أمّا الضمير فأساسه الواقع و ليس العقل النظري. وبهذا الرّأي يكون لوك قد خالف كلّ الفلاسفة الميثاليين و العقلانيين و رجال الدّين المسيحيين الذين يعتبرون الأخلاق معان متعالية مطلقة ثابتة لا تخضع للمتغيرات و الظروف..خالفهم جميعا ليتبنّى رايا جديدا يستمدّ الأخلاق من الواقع المتغيّر المتبدّل و ليرى أنّ القول بأنّ الأخلاق متعالية قول ضعيف بل الصواب – عنده- أنّ اساس الأخلاق هو الواقع أو قل الحسّ.

**ثانيا : ديفيد هيوم:**

من الفلاسفة الأعلام المؤسسين لهذا الإتجاه " ديفيد هيوم"...( فيلسوف إنجليزي :1711-1776) .الذي يقال عنه إنه أب الفلسفة الوضعية و الفلسفة الظاهراتية و الفلسفة التحليلية ..، لأنه كان المؤثر على الفلسفيين المتذهبين.

1.كيف تحصل المعرفة حسب هيوم:

يرى بأننا نحصل على المعرفة م ن طريقين :

طريق الإنطباعات و طريق الأفكار

ف الإنطباع هو الإدراك و هو يعني الإحساسات و الرؤى .

و الأفكار هي التي تتعلق بالتخيل و التذكر و التفكير .

وتتسم الإنطباعات بالفاعلية و القوة و الحركية و التأثير ، أما الأفكار ف باهتة ضعيفة لا قوة لا و لا تأثير ، و هي مجرد نسخة عن الإنطباعات ؛ لأن الإنطباعات هي التي تكون في الواقع .

الواقع= الإحتمال ( لا يحمل التنااقض)

الأفكار =روابط عقلية يقوم بها العقل للوصول لشيء ما ( قد تحمل التناقض).

وفي هذا الصدد تعرّض للكتب الميتافيزيقية و قال أنها لا تنتنمي إلى أمور الواقع و لا إلى علاقات الأفكار لأننا النستطيع أن نثبتها لا بطريق الواقع و لا بطريق الأفكار ؛ ف الكتب الميتافيزيقية حسبه سفسطة.

2. العِلِّية عند هيوم:

- العلية عند هيوم مرتبطة بأصول المعرفة .

-قانون العلّية عند العقليين يمثّل النموذج الصحيح للضرورة العقلية ، و يتصورون أن الأفكار متصل بعضها ببعض اتصالا ضروريا لا يقبل أيّ مناقشة ، لأنّ هذه الضرورة –حسبهم-: ضرورة عقلية أوّلية و ليست مستمدة من الواقع التجريبي.

-أما هيوم فرفض رفضا قاطعا أن تكون ثَمَّ ضرورة عقلية أوليبة و قال:" إننا لكي نفسّر الضرورة العقلية القائمة بين العلة و المعلول يجب أن نلجأ إلى التجربة الحسية لأنها تمثل المصدر اليقيني لكل أفكارنا و تقدّم لنا مجموعة من الأمثلة المتشابهة المتكرّرة ؛ أي مجموعة من العادات التجريبية تجعلنا نتوقّع ظهور شيء إذا ظهر شيء أخر سابق عليه ، و لما كنا اعتدنا أن نراه مقترنا بالشيء الأول نسبناه إليه ، مثال سقوط المطر يسبقه البرق أو دويّ الرعد ، و لا تلازم بينهما ، لكن اقتران هذه الظواهر بعضها ببعض جعلنا نتوهم أنها ملازمة لها.

و كخلاصة :

- فإن هيوم يرى أسبقية الواقع على الفكر.

- و ينتقد زعم المدرسة العقلية حين تدعي أن التلازم بين العلة و المعلول ضرورة عقلية.

- يرى أن التجربة الحسية هي المصدر لكل معلوماتنا.

**المثالية و الواقعية**

1.مفهوم المثالية و الواقعية من خلال المعجم الفلسفي "لالاند":

أ.المثالية:هي الإتجاه الذي يرجع كلّ وجود إلى الفكر ، أو هي المذهب الذي يقول إنّ الأشياء الواقعية ليست شيئا آخر غير افكارنا نحن و أنه ليس هناك حقيقة إلا ذواتنا المفكّرة ، أمّا وجود الأشياء فقائم في أن تكون مدرَكة عن طريق هذه الذوات و لا حقيقة و راء ذلك.

\* ويتلخّص الموقف المثالي في قضيّتين الأولى سلبية و الثانية إيجابية ؛ فالأولى تقرّر حقيقة سلبية أنّ استقلال الطبيعة واكتفاؤها بذاتها ليس إلا مجرّد وهم لأن الطبيعة و إن كانت تبدو أنها لا تعتمد على شيء آخر في سيرها و قوانينها إإلا أنها تعتمد فعلا على شيء آخر غيرها .

و القضيّة لثانية الإيجابية تقرّر أنّ هذا الشيء الآخر الذي تعتمد عليه الطبيعة هو العقل أو الروح سواء في ذلك العقل الفردي البشري أو العقل الكلّي الإلهي.

من أشهر ممثّلي هذا الإتجاه :

أفلاطون في الماضي ، كانط و هيغل في الفترة الحديثة.

ب. الواقعية:هي قراءة الطبيعة انطلاقا من الطبيعة .

-ف الواقعية ترى أنّ الطبيعة وجودها مستقلّ عن الذات و معرفتها تنطلق منها ، ومن هنا تنكر على الذات قدرتها على خلق الأشياء أو إيجادها .

-الواقعية لها علاقة وطيدة بالعلم ، و رغم أنّها ترى أنّه لا دخل للعقل في تشكيل و تكوين الطبيعة إلا أنها لا تلغي دوره بل تعتبره الأساس في فهمها و تفسيرها.

من أشهر الفلاسفة المؤسسين لهذا الإتجاه:

سانتيانا ، شبلينغ و برغسون.

**أولا : كانط:**

يقسّم العقل إلى قسمين : عقل نظري و عقل عمليّ.

فالنظري يعتمد على الحواسّ في إدراك الحقائق كذلك التجربة و كلاهما معرّض للخطأ ، و بالتالي لا يصلح الحسّ و التجربة أساسا لأن يقوم عليه الأخلاق .

أمّا العمليّ فهو يعتمد على أفكار غير مكتسَبة (فطرية) ، لأنّ الفطرة تكون قوّة باطنية اصطلح عليها كانط اسم " الضمير" ؛ فالعقل النظريّ يختصّ بالخارج (المجال الخارجيّ) أمّا العمليّ يختصّ بالداخل.

-الضمير عند كانط سمّي بالإرادة الخيّرة.

يقول كانط: " الذين فسّروا الكون على أساس قوانين ميكانيكية التي أدّت إلى عدم القول بعدم و جود إله يدير العالم و يقرّر مصيره إنّما يؤمنون بوجود إلهيّ لا صلة له بالعالم و لا بالإنسان ؛ أي بوجود إله آخر ماديّ بعيد عن المقوّمات الإلزامية الأخلاقية ، لا يتقيّد بالقوانين الخلقية."

ومن هنا ذهب كانط إلى أنّه لا يمكن أن نجعل الأشياء التي تتعلّق بالإنسان ميكانيكيّ و نتعامل معها بنفس المنهج ، لذلك رفض المبدأ الديكارتي و قال بأنّه يستحيل تطبيق المنهج الرياضيّ.

-ومن هنا تطرّق كانط إلى موضوع الفلسفة فقال بأنّه تحديد العناصر الأوّلية للمعرفة و العمل ؛ أي تحديد الأسس العقلية التي تقوم عليها الحياة.

- أمّا العقل عنده هو إدراك الظواهر للأشياء في ذاتها ، فليس في استطاعة العقل أن يصل إلى الفصل بين الحقائق المطلقة و المعقولة. ( العقل النظري لا يمكن أن يثبت وجود الله و انما نعرف الله عن طريق العقل العمليّ).

**المدرسة الواقعية :**

من الفلاسفة الممثّلين لهذا الإتّجاه " برغسون" الفرنسي ( 1859-1941) .

له مجموعة من المؤلّفات تشرح مذهبه منها:

-محاولة في معطيات الوجدان الواقعية (1887).

-محاولة في العلاقات بين الجسد و الروح (1896).

-الضحك(1900).

-التصوّر الخلاق (1907).

-الطاقّة الروحية( 1917).

-ديمومة وهمية بمناسبة نظرية أنشتاين (1922).

- ينبوعا الأخلاق و الدين (1932).

-الفكر المتحرّك ( 1934).

الحدس عند برغسون :

عُرِف برغسون باهتمامه ب ما يسمّى ب "الحدس" ، و قد كان الحدس قبله حدسا عاديا أي حسّي ، و هو حدس الحواسّ و داخلي وهو الإختبار و الإحساس النفسي، و حدس عقلانيّ يختبر به العقل المبادئ الأولى و حدس رياضيّ و هو الرؤية الذهنية .

كلّ هذه الحدوس عادية و هي تُدرك الأشياء بطريق التحليل ، أمّا الحدس عنده فهو إدراك الأشياء بلا تحليل تفاديا للتشويه و هو حدش وجداني باطنيّ ؛ أي فحص للشعور ، فهو إذن حدس مباشر ، فالحدس وسيلة باطنية شعورية لإدراك النفس .

و على هذا ف الحدس عنده هو : ضرب من الإدراك المباشر لحياتنا الباطنية و لمجرى شعورنا الداخليّ و هو وحده الذي يستطيع أن يتفهّم الحياة ، الأمر الذي يعجر عنه العقل.

لذا فهو يرى أنّ :

-الحدس الباطنيّ له زمان خاصّ مختلف عن الزمان المادّي المرتبط بالمكان ( الزمان المادّي غير الزمان النفسي).

-الحدس يعمل ضمن ( الأنا الأنا) و ( الأنا الآخر).

- طرح عليه سؤال :" هل تستعمل الحدس لإدراك العالم الخارجيّ ؟"

أجاب: أستعمل الحدس لأنه الوسيلة الوحدة لمعرفة اللكون معرفة عميقة ، و بذلك نعلّم أنفسنا التناغم مع الكائنات و الأشياء و على أن نشعر بهذه الأشياء في ذاتنا و شعورنا ، حينئذ تتجلّى في كلّ مكان الوثبة الحيوية فنفهم الكون و ما فيه من كائنات.

-الحرية عند برغسون:

شعور تلقائي خالص ، و الفعل الحرّ هو الذي يخلق به الإنسان نفسه بنفسه كأنما هو عمل فنيّ يمثّل حقيقة الأشياء و جوهرها.

و بهذا المعنى : الحرية تعبير عن الشخصية و تأكيد للوجود الذاتيّ.

لكن الحرية الحقيقية عنده نادرة الوجود لأنّ استبطان الذات و معرفة كنهها نادر.

و عليه : فلا يمكن فهم هذه الحرية الا بالرجوع إلى الذات.

-الأخلاق و الدين:

الدين عنده تابع للأخلاق ، لأن الاشياء الفاضلة لا يمكن أن تتناقض عمّا يحبّه الله.

يقول :" الدّين ما هو الا تعبير عمّا تتوق اليه النفس"